

على أنهار بابل: الصوم الكبير، منفانا

الأب سيرافيم روز

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في نهاية هذا الأسبوع، في سهرانية أحد الابن الضال، سنرّم المزمور ١٣٦. [١] "على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون". في كلمات مزمور الصوم هذا، نتذكر نحن الأرثوذكسيون، أي إسرائيل الجديدة، أننا في المنفى. بالنسبة للأرثوذكسيين الروس، المنفيين من روسيا المقدسة، [٢] يتخذ المزمور معنى خاصاً. لكن جميع الأرثوذكسيين يعيشون أيضاً في منفى في هذا العالم، ويتوقون للعودة إلى وطننا الحقيقي، السماء.

بالنسبة لنا، الصوم الكبير هو فصل في المنفى حددته لنا أمانة الكنيسة، حتى أن ذكرى صهيون التي ابتعدنا عنها إلى الآن، تبقى فينا متجددة. لقد استحققنا منفانا ونحن بحاجة ماسة إليه لعظمة إثمنا. هل فقط من خلال تأديب المنفى الذي نتذكره في الصوم والصلاة والتوبة في هذا الموسم، نبقي متذكّرين لصهيوننا؟ "إن نسيك يا أورشليم..."

ضعافاً وغافلين، حتى في خضم الصوم الكبير نعيش وكأن أورشليم لم تكن موجودة بالنسبة لنا. نقع في حب بابلنا، العالم. تغرينا ملاهي هذه "الأرض الغربية" العبثية، ونهمل خدام الكنيسة وترتيبها الذي يدركنا ببيتنا الحقيقي. والأسوأ من ذلك، نحن نحبّ خاطفينا - لأن الأکید هو أن خطايانا تأسرنا أكثر من أي سيد بشري - وفي خدمتهم نقضي أيام الصوم الكبير في الخمول، في حين يجب أن نستعدّ للقاء شروق الشمس في أورشليم الجديدة، قيامة ربنا يسوع المسيح.

مازال هناك وقت؛ يجب أن نتذكر وطننا الحقيقي ونبكي على الذنوب التي أبعدنا عنه. لنأخذ على محمل الجدّ كلمات القديس يوحنا السلمي: "المنفى هو الانفصال عن كل شيء لحفظ الفكر غير منفصل عن الله. المنفى يحبّ البكاء المستمر وينتجه". كمنفيين من الجنة، يجب أن نُنفي عن العالم إن كنا نرجو العودة.

هذا يمكننا تحقيقه بقضاء هذه الأيام في الصوم والصلاة والانفصال عن العالم، والالتزام بحضور خدام الكنيسة، بدموع التوبة، استعداداً للعيد البهيج الذي يُنهي زمان السبي هذا؛ وبالشهادة للجميع في "أرض الغربية" هذه، بتذكرنا أن العيد الأعظم يكون عندما يعود ربنا ليأخذ شعبه إلى أورشليم الجديدة، التي لن يكون هناك منفى منها، لأنها أبدية.

[١] "على أنهار بابل" هي ترنيمة لكل المزمور ١٣٦ (١٣٧ في السبعينية)، يُرثّل على لحن حزين، بعد مزمور البوليلليون أثناء السحرية. يُرثّل فقط في الكنيسة أيام الآحاد الثلاثة التي تسبق الصوم الكبير: أحد الابن الشاطر، أحد الدينونة (مرقع اللحم) وأحد الغفران (مرقع الجبن). من المعبر أن هذه الترنيمة نفسها تُرثّل في بداية خدمة السيامة الرهبانية. [٢] تعود هذه العظة إلى سنة ١٩٦٥، حين كانت الكنيسة في روسيا لم تزال في أسر النظام الشيوعي.